الجـــــزائر

الجزائر

النظام الادارى والسياسى

(نظرة عامة)

تعتبر فرنسا القطر الجزائرى جزءاً من بلادها ، وتقسمه إلى ثلاث ولايات : الجزائر، قسنطينة ، ووهران .

والقانون الأساسى الخاص بالجزائر — الصادر فى ٢٧ ايلول ١٩٤٧ — يصرح بأن القطر الجزائرى « يكون مجموعة ولايات ، تتمتع بشخصية معنوية ، واستقلال مالى ، وتشكيلات خاصة » .

يقوم على رأسها « وال عام » يمثل الجمهورية الفرنسية فى جميع أنحاء البلاد ، ويتمتع بسلطة واسعة ، تشمل جميع المصالح العامة ، باستثناء مصلحتى العدلية والتربية الوطنية. فان هاتين المصلحتين ترتبطان مباشرة بوزارتى العدلية والتربية الوطنية القائمتين فى عاصمة الدولة الفرنسية ، فلا تدخلان فى نطاق سلطة الوالى العام .

إدارة التعليم

ان ما قلناه آنفاً عن ارتباط مصلحة التربية الوطنية بالوزارة مباشرة، يجب أن لايؤخذ على إطلاقه. لأن ذلك لايصح إلا بالنسبة إلى معاهد التعليم الفرنسوية وحدها . وأما معاهد التعليم الخاصة بالجزائريين ، فانها تدار إدارة خاصة ،وتدخل فى نطاق سلطات الوالى العام.

ولذلك نستطيع أن نقول : ان عميد آكاديمية الجزائر يجمع فى نفسه صفتين مختلفتين : فانه فى كل مايتعلق بالتعليم العام الفرنسى يتمتع بجميع السلطات التى يتمتع بها زملاؤه فى فرنسا ، ويرتبط بهذا الاعتبار بوزارة التربية الوطنية مباشرة ، دون وساطة الوالى العام . ويطبق القوانين والأنظمة والمناهج المقررة لسائر الولايات الفرنسية بوجه عام . إلا انه فى كل ما يتعلق بتعليم الجزائريين — ولا سيما فى أمر تنفيذ « قانون استدارس الجزائريين المسلمين » الصادر سنة ١٩٤٤ — يتبع الوالى العام وينفذ الخطط الخاصة بالقطر الجزائرى .

اللغـــة العربية

واللغة الرسمية فى الجزائر هى اللغة الفرنسية . والتعليم فى جميع المدارس الرسمية يجرى بهذه اللغة .

وأما اللغة العربية فلم تصبح بعد لغة رسمية . فى الواقع ان المادة ٥٧ من القانون الأساسى الآنف الذكر تصرح بأن اللغة العربية « إحدى لغات الاتحـــاد الفرنسى » ، وان تعليمها « سينظم فى جميع مراحل التعليم » إلا أن هذا التنظيم لم يتم إلى الآن .

واللغة العربية لا تزال بمثابة « لغة أجنبية » فى هذا القطر العربى ، ولم تصبح بعد لغـــة التعليم فى المدارس الرسمية ، حتى فى التى أنشئت خصيصا لتعليم أطفال الجزائريين.

النظام التعليمى

إن جميع معاهد التعليم القائمة فى الجزائر ، مؤسسة على غرار مدارس فرنسا نفسها : هناك طائفة من رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ، والمدارس الابتدائية العالية ، والدروس التكميلية ، والمدارس الثانوية ـ بمختلف فروعها وأنواعها ، ـ والمدارس المهنية الزراعية والصناعية والتجارية ـ على مختلف درجاتها ـ ، وهناك جامعة مؤلفة من كليات الآداب والحقوق ، والعلوم والطب ، ومدارس ومعاهد عالية للهندسة والزراعة والتجارة والفنون الجميلة . . . كلها تسير وفقا للقوانين والأنظمة والمناهج المقررة فى فرنسا لجميع المدارس والمعاهد الرسمية القائمة فيها .

أبناء الجزائريين فى معاهد التعليم

إن أبواب هذه المدارس والمعاهد الرسمية المؤسسة فى الجزائر مفتوحة ـ بصورة نظرية ـ إلى جميع سكان البلاد . ولكن هناك تدابير وتنظيمات كثيرة ومتنوعة ، تضيق بصورة فعلية أبواب الدخول لهذه المدارس والمعاهد على وجوه أهل البلاد الأصليين .

أولا : ان معظم المدارس أسست فى المراكز والمحلات التى يقطن فيها جماعات كبيرة من الفرنسيين والأوروبيين . وهذه المدارس لا تقبل أحداً من الجزائريين إلا بعد قبول جميع من يراجعها من الفرنسيين والأوروبيين ، هذا فضلا عن ان كثيراً من شروط القبول المقررة للمعاهد المذكورة مجحفة بحقوق الجزائريين .

وأما المدارس التى تنشأ فى المناطق والمراكز العربية الإسلامية ، فهى قليلة نسبيا. فضلا عن انها قليلة التجهيزات، وبدائية التدريسات بوجه عام : معظمها يقتصر على الصفوف الدنيا من المدارس الابتدائية ، فلا تحتوى على الصفوف العليا ، وصفوف الانتهاء. كما ان عددا كبيرا منها لا تدرس إلا نصف يوم، فتكون قليلة الانتاج بطبيعة الحال .

ان هذه الفروق الفعلية القائمة بين الفرص المتاحة الى الأطفال الجزائريين وبين المتاحة إلى الأطفال الأوروبيين فى المدارس الرسمية ، تظهر بوضوح وجلاء من الاحصاءات الرسمية عن عدد التلاميذ وعن نتائج الامتحانات :

معلومات إحصـــائية

تدل الأحصاءات الرسمية المنشورة عن السنة الدراسية الأخيرة — ١٩٥٠ / ١٩٥١ — على أن مجموع التلاميذ المسلمين فى المدارس الابتدائية الرسمية كان ١٨٨٦٧٨ ، فى حين أن عدد التلاميذ الأوروبيين كان ١١١٤٠٣ .

وإذا لاحظنا أن عدد المسلمين فى الجزائر لا يقل عن ثمانية ملايين ، فى حين أن مجموع الأوروبيين يقدر بنحو مليون واحد ، علمنا أنه كان يصيب كل عشرة آلاف من سكان الجزائر الأصليين ٨و٢٤ مقعداً فى المدارس الابتدائية . فى حين أنه كان مايصيب هذا القدر من السكان الأوروبيين الدخيلين على البلاد ٤و١١١ مقعداً . وذلك يعنى: إن حظ الاوروبيين من المدارس الابتدائية الرسمية كان يزيد على أربعة أمثال ونصف مثل حظ الجزائريين منها .

وتدل الاحصاءات الرسمية نفسها ، على أن « جامعة الجزائر » كانت تضم نحو ٥٠٠٠ طالباً ، بينهم ٢١٣ فقط من الجزائريين المسلمين . وذلك يدل على أنه كان يصيب كل عشرة آلاف نسمة من السكان الأوروبيين ٩٨ مقعداً فى الجامعه ، فى حين أنه ما كان يصيب هذا القدر من الجزائريين إلا نحو ربع مقعد فيها . وذلك يعنى أن حظ الأوروبيين فى الجامعة كان ١٩٢ أمثال حظ الجزائريين فيها

إن حسابات مماثلة عن سائر درجات التعليم وأنواعها ، تعطينا نتائج متوسطة بين هاتين النسبتين ، والجدول التالى يلخص هذه النتائج والنسب :

إن حظ الفرنسيين والأوروبيين من التعليم :

فى المدارس الابتـــدائية يقابل ٥ر٤ أمثال حظ الجزائريين منها

فى المدارس الابتدائية العالية « ٨ « « « «

فى المدارس المهنية « ١٧ « « « «

فى المدارس الثانوية « ٣٦ « « « «

فى رياض الأطفال « ٨٠ « « « «

فى الجامعة الجزائرية « ١٩٢ « « « «

وفضلا عن ذلك كله ، يجب أن يلاحظ أن مستوى المدارس والصفوف الخاصـــة بالجزائريين المسلمين أقل بكثير من مستوى المدارس المعدة لتعليم أولاد الأوروبيين مع بوجه عام .

وتدل الاحصاءات عن نتائج امتحانات الدراسة الابتدائية ـــ من سنة ١٩٤٠ إلى سنة ١١٤٩ ـــ على أن : معدل عدد التلاميذ الذين ينجحون فى هذه الامتحانات من الأوروبيين يبلغ أربعة أمثال من ينجح من الجزائريين .

إن نتائج هذه الأوضاع التعليمية السيئة تظهر بوضوح أعظم ، من ضآلة عدد أصحاب الثقافات العالية والمهن الحرة بين الجزائريين .

فإن الإحصاءات الرسمية تعطى الأرقام التالية عن عدد الجزائريين بين أصحاب المهن الحرة يوجد فى القطر الجزائرى بأجمعه :

٨٢ طبيبـــا جزائريا ، من مجموع ١٥٥٩ . وذلك يعنى ٢ر٥ ٪

١٠ طبيب أسنان جزائرى « « ٣١٧ « « ١ر٣ ٪

٣٥ صيدليـــا جزائريا « « ٥٠٦ « « ٦ر٩ ٪

١١ قابلة جـــزائرية « « ٤٢٧ « « ٢ر٥ ٪

٥٠٩ معلمـــا ابتدائيـــا « « ٦٢٢٧ « « ٨ر١ ٪

هذا ، بقطع النظر عن النسبة بين مجموع الجزائريين ، وبين مجموع الأوروبيين القاطنين فى الجـــزائر .

مع العلم بأن معظم هؤلاء الجزائريين المثقفين قد حصلوا على الشهادات التى تؤهلهم الى هذه المهن ، بعد دراسات قاموا بهـــا خارج القطر الجزائرى على نفقاتهم ـــ أو نفقات أسرهم ـــ الخاصة .

نظرات تاريخية

ومما يجدر ذكره فى هـــذا الصدد ، أن الأوضاع التى وصفناها آنفا تعود إلى السنة الدراسية الأخيرة ، بعدأن اضطرت السلطات الفرنسية إلى زيادة الاهتمام بتعليم الجزائريين، بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية . وأما قبل ذلك ، فكانت الحالة أسوأ من ذلك أيضا بدرجات عديدة .

ولتكوين فكرة أصح من ذلك عن قضية « تعليم الجزائريين » . يجدر بنا أن نرجع قليلا إلى الماضى ، فنستعرض الاحصاءات المتعلقة بنمو التعليم فى الجزائر خلال العقود الإثنى عشر التى مضت منذ بدء التسلط الافرنسى على هذا القطر العربى :

١ — منذ بدء الاحتلال حتى سنة ١٨٧٠
(خلال أربعين عاما)

أنشأ الفرنسيون سنة ١٨٣٦ فى مدينة الجزائر ، أولى المـــدارس الخاصة بأولاد الجزائريين المسلمين ، أسموها « المدرسة الفرنسوية الإسلامية » — (فرنكوموزلمان) — ثم أخذوا ينشئون بعض المدارس المماثلة لها فى مختلف المدن الجزائرية .

فى سنة ١٨٥٠ — أى بعد مرور عشرين عاما على الاحتلال — إبلغ مجموع تلاميذ المدارس المذكورة ٦٤٦ .

وفى عهد الإمبراطورية الثالثة زاد عدد هـذه المدارس ، وزاد عـدد تلاميذها زيادة ملموسة : وقد بلغ عدد هـذه المدارس ، سنة ١٨٧٠ — أى بعد مرور أربعين عاما على الاحتلال — ٣٦ ، وصار مجموع تلاميذها ١٣٠٠٠ .

٢ — من ١٨٧٠ إلى ١٨٩٣
(خلال ٢٣ عاما)

بعد سقوط الإمبراطورية الثالثة ، أخذ عدد هـذه المدارس يقل ، ومجموع تلاميذها يتضائل .. بسرعة . حتى أن العدد نزل خلال عشر سنوات إلى أقل من النصف ، وعدد التلاميذ الى أقل من الربع : لأن سنة ١٨٨٠ — أى بعد مرور نصف قرن كامل على الاحتلال

ـــ كان عدد المدارس الفرنسوية الإسلامية فى الجزائر ١٦ فقط ، مجموع تلاميذها ٣١٧٢ لاغير . وذلك مع أن مجموع تلاميذ المدارس الفرنسوية فى الجزائر كان بلغ فى السنة المذكورة أربعة عشرة أمثال ذلك ؛ لأنه كان ٤٤٣٢٦ .

وأما السبب الأصلى فى هذا التقهقر السريع ، فيعود إلى ازدياد سلطة المستعمرين :

إن السياسة العربية التى كان أعلنها نابليون الثالث فى الخطاب الذى ذكرناه آنفا ، كان حمل السلطات على تكثير المدارس الفرنسوية الإسلامية ، على الرغم من مخالفة ذلك لنزعات « المستعمرين » الذين كانوا استوطنوا الجزائر . وعندما سقطت الإمبراطورية الثالثة تغلبت نزعات هؤلاء على السياسة المذكورة ، ولذلك تعرضت « حركة تعليم الجزائريين » إلى نكسة صريحة : أخذت المجالس البلدية ـــ التى كانت مؤلفة من الفرنسيين المستعمرين ـــ تحذف من ميزانياتها الاعتمادات العائدة إلى هـــذا النوع من المدارس ـــ بحجة الاقتصاد فى النفقات ـــ ، وذلك أدى ـــ بطبيعة الحال ـــ إلى الغاء القسم الأعظم من المدارس المذكورة ، وإلى بعثرة تلاميذها .

ولذلك نزل عدد الجزائريين الذين يدرسون فى المدارس الابتدائية من ١٣٠٠٠ سنة ١٨٧٠ ، إلى ٣١٧٢ سنة ١٨٨٠ .

وأما بعد سنة ١٨٨٠ ، فقد توقفت هذه الحركة الانتكاسية ؛ وأخذ عدد المدارس الخاصة بالجزائريين يزداد شيئاً فشيئاً . غير أن هذا الازدياد سار ـــ فى بادىء الأمر ـــ ببطء عظيم جداً : فلم يصل مجموع التلاميذ إلى الحد الذى كان وصل اليه سنة ١٨٧٠ ، إلا سنة ١٨٩٣ . لأن مجموع التلاميذ سنة ١٨٩٢ كان لايزال دون ذلك : ١٢٢٦٣ .

وخلاصة القول : أن مجموع التلاميذ الجزائريين بعد أن نزل عشرة آلاف خلال عشر سنوات (أى من ١٨٧٠ إلى ١٨٨٠) ، لم يزداد عشرة آلاف فيرجع إلى حده السابق إلا بعد ثلاثة عشرة أعوام . وذلك يعنى أن مدة تقرب من ربع قرن ، مضت بين الجزر والمد فى عدد المدارس وعدد التلاميذ .

٣ ـــ من ١٨٩٣ حتى الحرب العالمية الاولى

(خلال ٢٣ عاماً)

وأما بعد سنة ١٨٩٣ ، فقد اطرد ازدياد عدد التلاميذ الجزائريين ، حتى نشوب الحرب

العالمية الأولى ، من غير أن يتعرض الى نكسة جديدة ، كما يتبين من التفاصيل التالية :

السنة الدراسية	عدد المدارس	عدد الصفوف	عدد التلاميذ
١٨٩٣	١٣٨	٢٤٤	١٣٤٣٩
١٨٩٤	١٦٣	٢٧٣	١٦٧٩٤
١٨٩٥	١٧٨	٣٥٣	٢٠٢٦٤
١٨٩٦	١٨٢	٣٦٠	٢١٠٢٠
١٨٩٧	١٨٧	٣٩٢	٢٢٤٦٨
١٨٩٨	١٩٩	٤١٢	٢٣٤٦٨
١٨٩٩	٢٢١	٤٤٧	٢٤١٢٤
١٩٠٠	٢٢١	٤٦٠	٢٤٥٦٥
١٩٠١	٢٢١	٤٧٢	٢٥٥٨٦
١٩٠٢	٢٣٥	٤٨٦	٢٥٩٥١
١٩٠٣	٢٤٢	٥٠٤	٢٧٤٤٨
١٩٠٤	٢٤٢	٥١٦	٢٨٤٣١
١٩٠٥	؟	؟	؟
١٩٠٦	٢٥٦	٥٣٩	٣١٣٩١
١٩٠٧	٢٧٢	٥٧٥	٣٢٥١٧
١٩٠٨	٢٩٩	٦٤٠	٣٦٠١٣
١٩٠٩	٣١٦	٦٦٧	٣٨٣٣٦
١٩١٠	٣٦٢	٧٢٧	٤٠٧٧٨
١٩١١	٣٩٠	٧٦٦	٤٢٦١٤
١٩١٢	٤٣٣	٨٢٥	٤٤٧٧٩
١٩١٣	٤٦٨	٨٨٨	٤٦٤٣٧
١٩١٤	—	—	٤٨٧٥٠

يتبين من هذا الجدول ، أولا : أن مجموع التلاميذ الجزائريين سنة ١٩٠٠ كان أقل من ٢٥٠٠٠ ، مع أنه كان مضى على احتلال الفرنسيين للقطر الجزائرى سبعة عقود من السنين ، ثانيا : يظهر من مقارنة أعداد الصفوف باعداد المدارس ، أن معدل مايصيب كل مدرسة من الفصول ، ما كان يزيد على الاثنين .

هذا ، واذا لاحظنا مجموع التلاميذ الذين كانوا موجودين فى المدارس سنة ١٧٨٠ علمنا أن مجموع

التلاميذ الجزائريين لم يزد طوال المدة التى مضت بين حرب السبعين وبين الحرب العالمية الأولى — أى خلال ٤٤ عاماً — إلا ٣٥٧٥٠ ، وذلك يعنى : أن معدل الازدياد كان ٨٣٠ فى السنة .

هذا ، ولو حذفنا من هذه المدة الأعوام الثلاثة والعشرين التى مضت بين الجزر والمد ، واتخذنا سنة ١٨٩٣ مبدءاً لهذا الحساب ، لوجدنا أن مجموع التلاميذ لم يزدد خلال عشرين من السنين — أى من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩١٣ — إلا ٣٢٩٩٨ ، وذلك يعنى أن الازدياد كان بمعدل ١٦٥٠ فى السنة

٤ — فى دول الحرب العالمية الأولى

خلال الحرب العالمية الأولى — أخذ مجموع التلاميذ الجزائريين يقل شيئاً فشيئاً . ثم عاد الى الازدياد ، بعد انتهاء الحرب ، إلا أن المجموع لم يصل إلى ما كان عليه قبل الحرب ، إلا سنة ١٩٢٣ .

٥ — بين الحربين العالميتين

بعد الحرب العالمية الأولى اشتد وعى الجزائريين بحقوقهم ، وادراكهم لحاجاتهم . وراحوا يقبلون على المدارس إقبالا عظيما ، وأخذوا يطالبون الحكومة بتوسيع المدارس الموجودة من ناحية ، وبانشاء مدارس جديدة من ناحية أخرى ، مما اضطر فرنسا إلى الاهتمام بأمر تعليم الأطفال الجزائريين أكثر من ذى قبل .

إن أسباب هذه الحركة الجديدة كانت عديدة ، أهمها : مساهمة الجزائريين فى الحرب العالمية مساهمة فعالة ، وتكبدهم تضحيات كبيرة ، ساعدت على ضمان النصر لفرنسا وحلفائها . ثم تيار التيقظ الذى عم جميع شعوب الأرض من جراء دعايات الحرية ومواعيد الديموقراطية التى غمرت العالم خلال الحرب المذكورة .

ولذلك ، زاد مجموع التلاميذ الجزائريين ازدياداً مطرداً ، خلال الأعوام العشرين التى مضت بين الحربين العالميتين ، كما يتضح من الأرقام التالية :

السنة	مجموع التلاميذ
١٩٢٠	٤٢٢٦٩
١٩٢١	٤٣٨٣١
١٩٢٢	٤٨٧٥٠
١٩٢٣	٥١٠٤٠
١٩٢٤	٥٤١٥٠
١٩٢٥	٥٤٥٨١
١٩٢٦	٥٧٦٤١
١٩٢٧	٦٠٦٨٣
١٩٢٨	٦٠٧٦٥
١٩٢٩	٦٢٩٠٨
١٩٣٠	٦٦٦٣٧
١٩٣١	٧١٥٧٨
١٩٣٢	٧٨٠٩٤
١٩٣٣	٨٥٩٩٨
١٩٣٤	٨٧٤٥٨
١٩٣٥	٩٣٤٣٣
١٩٣٦	١٠٢٨١٦
١٩٣٧	١٠٦٣٠٥
١٩٣٨	١١١٧٥٠
١٩٣٩	١١٤١١٧

يظهر من هذه الأرقام ان مجموع التلاميذ الجزائريين ، صعد بين الحربين العالميتين من ٤٢٢٦٩ إلى ١١٤١١٧ ، وذلك يعنى أن الزيادة كانت بمعدل ٣٦٠٠ فى السنة .

لاشك فى أن هذه الزيادة المتواصلة كانت مهمة بالنسبة الى الأوضاع السابقة . ولكنها كانت بعيدة عن مقابلة الحاجات بصورة جدية .

لأن العدد الذى وصل اليه المجموع فى نهاية هذه الحقبة من الزمن ، كان ضئيلا بالنسبة إلى مجموع الجزائريين ، الذى كان يقدر بنحو سبعة ملايين .

والزيادة السنوية التى ذكرناها آنفا ، كانت أقل بكثير من ازدياد عدد الأطفال الذين يبلغون أسنان الدراسة فى كل عام : لأن الإحصاءات الرسمية تدل على أن تعداد الجزائريين المسلمين كان يزيد سنويا نحو ١٥٠٫٠٠٠ نسمة . ويتبين من ذلك : ان الزيادة السنوية التى كانت تسجل فى عدد التلاميذ الجزائريين ، كانت تقل عن الزيادة التى تحصل كل سنة فى عدد الأطفال الداخلين فى سنى الدراسة الابتدائية .

وبتعبير آخر : أن عدد الأطفال الجزائريين المحرومين من الدراسة الابتدائية ، ما كان يقل أبدا ، عن الرغم من ازدياد عدد الذين يدرسون فى المدارس ، بل بعكس ذلك ، أنه كان يزيد سنة فسنة .

٦ – خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها

خلال الحرب العالمية الثانية نزل مجموع الطلاب الجزائريين الى ١١٠٠٠٠ وأصبح أقل مما كان عليه سنة ١٩٣٨ .

ولكن بعد انتهاء الحرب المذكورة ، أخذ المجموع يزداد بسرعة نسبية ، حتى أصبح بعد خمس سنوات ١٨٢٨٦٤ .

وقد تألفت سنة ١٩٤٤ لجنة للنظر فى أمر «استدراس» الأطفال الجزائريين. ولاحظت أن مجموع الاطفال الداخلين فى أسنان الدراسة الابتدائية كان نحو ١٢٥٠٠٠٠ فى حين أن مجموع التلاميذ الجزائريين الذين يدرسون فى المدارس فى ذلك التاريخ كان ١١٠٠٠٠ فقط .

ويتبين من ذلك ان عدد الأطفال الباقين خارج المدارس كان نحو ١١٤٠٠٠٠ . ولذلك وضعت اللجنة مشروعا يقضى بإنشاء ٢٠٠٠٠ فصل جديد خلال عشرين عاما. وقد صادقت السلطات العليا على المشروع المذكور ،وأصدرت مرسوما اكسبته صفة القانون .

إن الخطة التى تقررت بهذه الصورة تقضى بالسير فى أمر أستدارس الجزائريين بخطوات متوالية تصاعدية : ينشأ فى كل سنة من السنوات الثلاث الأولى ٤٠٠ فصلا جديداً لاستدراس ٢٠٠٠٠ من الأطفال الجزائريين . ثم ينشأ فى كل سنة من السنين الثلاث التى تلى ذلك ٥٠٠ فصلا جديداً لاستدراس ٢٥٠٠٠ طفل جزائرى . وبعد ذلك يستمر على زيادة عدد الفصول الجديدة التى تنشأ كل سنة زيادة تصاعدية ، حتى سنة ١٩٦٥ ، حيث يبلغ مجموع الفصول الجديدة ٢٠٠٠٠ ومجموع الأطفال الجزائريين الذين يدرسون فيها ١٠٠٠٠٠٠

ينتقد الباحثون الجزائريون هذا المشروع من وجوه عديدة . فانهم يقولون أولا : أن المشروع لم يأخذ بنظر الاعتبار الزيادة التى ستحدث فى تعداد الجزائريين حتى سنة ١٩٦٥ مع أن إحصاءات السكان العائدة إلى السنين الماضية تدل دلالة قاطعة على أن هذه الزيادة خلال عشرين عاما ستكون نحو ثلاثة ملايين . ولذلك يمكن التأكيد بان عدد الأطفال الجزائريين الذين سيبقون محرومين من نعم التعليم ، سنة ١٩٦٥ ،لن يقل عن نصف مليون ، حتى ولو تم تنفيذ المشروع المذكور بحذافيره .

وفضلا عن ذلك ، يلاحظ الباحثون : أن تقرير المشروع لم يقترن بتدابير فعالة لتنشئة المعلمين الذين ستحتاج إليهم الفصول والمدارس الجديدة ، ولا لتشييد المبانى اللازمة لتلك المدارس والفصول . ويستشهدون على صدق نظرهم فى هذا المضمار ، بما حدث فعلا بعد تقرير مشروع الاستدراس : فانه خلال السنوات الخمس التى مضت منذ ذلك التاريخ ،

لم يزدد مجموع التلاميذ الجزائريين إلا بمعدل سنوى يقل عن عشرة آلاف ، وذلك لا يبلغ نصف المقدار المقرر بالمشروع .

خلاصة القول : أن مجموع التلاميذ الجزائريين أخذ يزداد بسرعة أعظم من ذى قبل ، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتقرير مشروع الاستدراس الآنف الذكر . إلا أن هذه الزيادات ظلت غير كافية ، بالنسبة إلى مقتضيات المشروع من ناحية ، وإلى حاجات الأهلين الفعلية من ناحية أخرى .

خلاصة عامة

ان الجدول (رقم ١٣٦) يبين تطور نسب التزايد فى مجموع التلاميذ الجزائريين ، عن كل خمس سنوات ، من سنة ١٨٨٠ حتى سنة ١٩٥٠ .

شكاوى الجزائريين ومطالبهم

يشكو الوطنيون فى القطر الجزائرى من أوضاع التعليم القائمة فى بلادهم مر الشكوى ، ويطالبون بإلحاح إصلاح هذه الأوضاع وتحسينها من وجهتى الكمية والكيفية . وذلك أولا ، بتكثير المدارس ، لتيسير وسائل التعليم لجميع الأطفال الجزائريين ، أسوة بالأطفال الفرنسيين والأوروبيين الذين يتنعمون بنعم الدراسة الكاملة ، على نفقة الخزانة الجزائرية

وثانيا ، برفع مستوى التدريس فى المدارس الخاصة بالجزائريين ، مع الاعتراف لهم بحقهم الطبيعى فى تعليم أطفالهم باللغة العربية ، وتثقيفهم بالثقافة الاسلامية .

جهود جمعية العلماء

تألفت « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » ، تحت زعامة المرحوم أحمد بن باديس ؛ ووجهت جهودها نحو العمل فى الساحتين التاليتين :

(ا) — دعوة الناس إلى إنشاء المدارس الخاصة ، دون انتظار مساعدة الحكومة لها .

(ب) — مطالبة الحكومة بإحقاق حقوق أهل البلاد الأصليين فى أمور الثقافة والتعليم .

المدارس التى أنشأتها الجمعية

إن الدعوة التى قامت بها جمعية العلماء بين الجزائريين فى سبيل نشر التعليم أثمرت ثمرات يانعة :

أولا : أنشأت الجمعية « معهد بن باديس » فى قسنطينة ؛ ويعتبر هذا المعهد بمثابة القسم الثانوى لجامع الزيتونة فى تونس ، ويؤهل الطلاب إلى أقسام التخصص فى الجامع المذكور .

وقد بلغ عدد طلاب المعهد — خلال السنة الدراسية الأخيرة : ٧٢٠ .

ثانياً : أنشأت الجمعية ١٢٥ مدرسة ابتدائية ، تضم أكثر من ٣٠٠ فصلا .

السنة الدراسية	مجموع التلاميذ الجزائريين	الزيادة خلال خمس سنوات	معدل الزيادة كل سنة
١٨٧٠	١٣٠٠٠		
١٨٨٠	٣١٧٥		
١٨٨٥	٥٦٩٥	٢٥٢٣	٥٠٤
١٨٩٠	١١٢٦٢	٥٥٦٧	١١١٥
١٨٩٥	٢٠٢٦٤	٩٠٠٢	١٨٠٠
١٩٠٠	٢٤٥٦٥	٤٣٠١	٨٦٠
١٩٠٥	٣١٣٩١	٦٨٢٦	١٥٨١
١٩١٠	٤٠٧٧٨	٩٣٨٧	١٨٧٥
١٩١٥	٤٣٥٢٠	٢٧٤٢	٥٤٨
١٩٢٠	٤٢٢٦٥	١٢٥٥ (نقص)	٢٥٠ (نقص)
١٩٢٥	٥٤٥٨١	١٢٣١٦	٢٤٦٣
١٩٣٠	٦٦٦٣٧	١٢٠٥٦	٢٤١١
١٩٣٥	٩٣٤٣٣	٢٦٧٩٦	٥٣٦٣
١٩٤٠	١١٧١٥٥	٢٣٧٢٢	٤٧٤٤
١٩٤٥	١٣٤٩٨٨	١٧٨٣٣	٣٥٦٦
١٩٥٠	١٨٢٨٦٤	٤٧٨٧٦	٩٥٧٥

إن هذه الأرقام تشمل جميع التلاميذ الجزائريين ، الذين يدرسون فى المدارس الرسمية ، الفرنسوية والفرنسوية الإسلامية .

الجدول (رقم ١٣٦) — تطور مجموع التلاميذ الجزائريين

(كل خمس سنوات منذ سنة ١٨٨٠)

وبلغ عدد التلامذة النهاريين الملازمين لهذه الفصول ١٦٢٨٦ ،وكان عدد الذكور منهم ١٠٥٩٠ ، وعدد الأناث ٥٦٩٦ .

وبلغ عدد التلامذة الليليين الذين تشغلهم المكاتب الفرنسية بالنهار ٢٠٠٠٠ .

مجموع التلامذة الذين تضمهم مدارس الجمعية ، نهاراً أو ليلا ، أصبح نحو ٣٧٠٠٠ .

قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بهذه الأعمال مذللة أنواع الصعوبات والعراقيل التى تقيمها الحكومة ، بحجج شتى ووسائل متنوعة

وقد بلغت خلال السنة الدراسية الأخيرة عدد قضايا المحاكمات للمعلمين (بتهمة التعليم) سبعاً وعشرين قضية ، حكم فى جميعها بالتغريم ، وفى ثلاث منها بالتغريم والحبس ، وفى واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف . وقد استؤنفت عدة قضايا منها إلى المحاكم العليا فى باريس ، فأيدت أحكام الجزائر فى جميعها ، ولم تنقض منها ، ولا حكما واحداً .

إن جمعية العلماء الجزائريين تشعر بأنها لاتزال أمام مهمة خطيرة ، تتطلب من الجميع جهوداً جبارة وتضحيات كبيرة . إذ قال رئيسها ، فى التقرير الأدبى الذى قدمه إلى مؤتمرها العام الأخير — بعد ذكر مجموع التلامذة الذين يتعلمون فى مدارس الجمعية — ما يلى :

« إذا أسقطنا هذا العدد القليل من ذلك الرقم الهائل المحروم من التعليم بجميع أنواعه، — وهو مليونان من شباب الأمة وأطفالها — وجدنا أنفسنا لم نزل فى مبتدأ المرحلة ، وسمعنا الواجب يناديناويحثنا على مضاعفة الجهد لإنقاذ هذا الجيل البائس من الأمية والجهل. فاذا لم نفعل ، أضعنا جيلا كاملا ، وحققنا أمنية الاستعمار فيه » .

جهود الجمعية لدى الحكومة

وأما جهود الجمعية فى مطالبة الحكومة بإحقاق حقوق أهل البلاد الأصليين ، فلم تثمر الثمرات المرجوة منها . فان الحكومة الفرنسية لم تغير إلى الآن السياسة التى تتمشى عليها فى القطر الجزائرى .

وقد ركزت الجمعية مطالبها من الحكومة ، حول القضيتين التاليتين :

(ا) — فصل الدين عن الدولة ، وترك المسلمين أحراراً فى إدارة شؤون مؤسساتهم الدينية .

(ب) — جعل اللغة العربية لغة رسمية فى دواوين الحكومة ، ولغة تعليم فى المدارس الرسمية

إن قضية فصل الدين عن الدولة ، قد تبدو فى الوهلة الأولى خارجة عن نطاق شؤون الثقافة والتعليم ؛ ولكنها فى حقيقة الأمر شديدة الإتصـــال بتلك الأمور ، كما يتضح من التفاصيل التالية :

عندما احتلت فرنسا الجزائر ، استولت على جميع المؤسسات الدينية الإسلامية القائمة فيها ، مع كل ما يتصل بها من أوقاف ومشتملات . وكان بين تلك المؤسسات عدد كبير من معاهد التعليم ، مع طائفة من العقارات والأراضى الموقوفة لها .

وصارت الحكومة الفرنسية ، تتولى بنفسها شؤون المعابد والمدارس الإسلامية وأوقافها دون أن تشرك الأهالى فى أمرها .

ومعلوم أن فرنسا قررت سنة ١٩٠٥ بقانون خاص مبدأ فصل الدين عن الدولة ونفذت أحكام هذا القانون فى جميع أنحاء بلادها . وأما فى القطر الجزائرى فانها نفذته بالنسبة إلى الطوائف المسيحية والإسرائيلية وحدها ، ولم تنفذه بالنسبة إلى الطوائف الاسلامية .

واستمرت على إدارة شؤون المعاهد الدينية الإسلامية بنفسها ، وأبقت المعاهد المذكورة تحت سلطتها الإدارية والسياسية . واستناداً إلى هذه السلطة ، أخذت تمنع العلماء من استعمال الجوامع للتعليم ، كما كانت العادة من قديم الزمان فى جميع أنحاء العالم الاسلامى . وامعنت السلطات الافرنسية فى هذا المنع ، على الرغم من الطلبات المتكررة والاحتجاجات المتوالية التى قامت فى هذا الباب .

ولذلك ، اضطرت جمعية العلماء إلى اعتبار مبدأ فصل الدين عن الدولة من أهم المطاليب بجانب مبدأ التعليم باللغة العربية .

ولتكوين فكرة أوضح وأشمل عن وجهة نظر مفكرى الجزائر وعلمائها فى هذا المضمار ، رأينا أن ننقل بعض الفقرات من مقالات وخطب هؤلاء .

(أ) — مما جاء فى خطاب ألقاه الأستاذ محمد خير الدين فى اجتماع « الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها » :

« اننا فى وضع غريب ، لايدانيه فى الغرابة أى وضع على وجه الأرض .

ذلك ان الاستعمار تجاوز مغنا المرحلة التى عرف بها فى العالم من ظلم واستهتار بحقوق الإنسان ، إلى مرحلة أخرى ، هى أشنع وأفظع هى : مرحلة الاحتقار والامتهان .

« تسن القوانين لصالح الأقلية ، ولا يحسب للأكثرية أدنى حســـاب . يمتهن شعب

كامل ، ويرمى به فى بحر لجى من الفقر والمرض والجهل ، فلا يراعى مستقبله ومستقبل أبنائه ، بينما توزع ميزانية بلاده على أبناء المحظوظين ، وتصرف فى بناء المتنزهات والكماليات والترفيه على هذه الجيوش الجرارة من الموظفين .

« ان الاستعمار فى الجزائر لم يكتف بسلب مابقى بأيدينا من الدنيا ، وطمس ماترك الزمان لنا من معالم القومية ، بل تجاوزها إلى امتهان ديننا الاسلامى الحنيف ، فانتزع أوقافه ومنع العلماء الأحرار من دروس الوعظ والارشاد فى مساجدهم ، احتقارا منه لشعور المسلمين ، وعدم مبالاة بعواطفهم الدينية .

« فالديانة المسيحية واليهودية مفصولتان عن الدولة من يوم صدور قانون فصل الدين ، أما الديانة الإسلامية غير مفصولة ، لأنها فى نظر الاستعمار ليست ديانة تستحق الاحترام ، والمعاملة على قدم المساواة مع بقية الأديان .

« ألم يروا المسيحيين أحراراً فى كنائسهم ، واليهود أحراراً فى بيعهم ، أما المسلمون فقد حيل بينهم وبين مساجدهم وأوقافها ، وحرموا حق الاختيار لرجال دينهم ، وحق النظر فى شؤونه . فالحكومة الاستعمارية اللائكية ، هى التى تولى وتعزل وتتصرف فى شؤون الدين الاسلامى ووظائفه كما تتصرف فى شؤون الدنيا والوظائف الدنيوية .

أما اللغة العربية ، لسان تسعة ملايين من المسلمين ولغة دينهم وقرآنهم ، تلك اللغة الخالدة ، ذات الآداب والثقافة التى شعت بنورها على أوروبا ، فاقتبست منها حضارتها الحاضرة وعلومها وفنونها ، فهى تعامل فى وطنها وعلى مرأى ومسمع من بنيها كما تعامل اللغات الأجنبية . فأنت لا تكاد ترى لها أثرا فى الإدارات والمؤسسات ، وانه ليروعك ما أحيطت به المدارس العربية الحرة من قوانين وقرارات ترمى فى مجموعها إلى القضاء على هذه اللغة ، وتركها أثرا بعد عين . ويروعك أن ترى المعلمين الأحرار يحالون على المحاكم التأديبية كما يحال اللصوص والمجرمون . . . »

. . . جاءت الجمهورية الرابعة أثر الحرب التى ذاقت فيها فرنسا مرارة الاحتلال الأجنبى ، وأعلن دستورها إلغاء الاستعمار وحرية الشعوب ، وقرر فصل الدين عن الدولة ، وقرر رسمية اللغة العربية فى الجزائر ، وغيرهما من الحقوق للأمة الجزائرية .

ولكن الواقع أظهر لنا قيمة تلك الوعود الجوفاء ، والألاعيب السياسية التى لايقصد بها إلا التظاهر بالديمقراطية ، ومغالطة الأمم والشعوب .

فلو كان السياسة فى فرنسا مخلصين فى دعواهم لما دفعوا مطالب الامة الجزائرية إلى تلك المؤسسة التى سموها بالمجلس الجزائرى ، والتى نسميها نحن المؤسسة الاستعمارية الجديدة ، والمقبرة التى تقبر فيها حقوقنا وأمانينا .

حاول سكان مدينة قسنطينة مراراً مطالبين عامل عمالة قسنطينة ، أن يسمح لأبناء المسلمين بمزاولة دروسهم بالجامع الكبير بقسنطينة، بعد أن ضاقت عليهم أماكن الدراسة لكثرتهم ، فلم يجب طلبهم ولم يحترم شعورهم .

وفى السنة الماضية قدم اقتراح للمجلس العمالى بقسنطينة ، وافق المجلس عليه بالاجماع ، وطلب نواب الصندوق الاول والثانى من الحكومة أن تسمح للمسلمين بالدراسة بالجامع الكبير ، ولكن الحكومة قابلت طلبهم بالسكوت والاعراض ... »

(ب) — ومما جاء فى مقال نشرته «البصائر» لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقلم رئيسها الأستاذ « محمد البشير إلابراهيمى » ، عن التعليم العربى :

« لغة الأمة هى ترجمان أفكارها ، وخزانة أسرارها . والأمة الجزائرية ترى فى اللغة العربية — زيادة على ذلك القدر المشترك — انها حافظة دينها ، ومصححة عقائدها ، ومدونة أحكامها ، وانها صلة بينها وبين ربها، تدعوه بها وتعترف ، وتبوء بها اليه فيما تعترف، وتؤدى بها حقوقه وواجباته . . .

إن لغة العرب ، قطعة من وجود العرب ، ومزية من مميزات العرب ، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة .

إنها كانت — فى وقت ما — لسان معارف البشر . وكانت — فى وقت ما — ترجمان حضاراتهم ، وكانت — فى وقت ما — ناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب ، وكانت — فى وقت ما — هادية العقل الغربى الضال إلى موارد الحكمة فى الشرق ، وكانت — فى جميع الأوقات — مستودع آداب الشرق ، وملتقى تياراته الفكرية .

وهى قبل وبعد كل شىء حاضنة الإسلام ، ودليله إلى العقول ، ورائده إلى الأفكار ، دخلت به إلى الهند والصين ، وقطعت به البحار والفلوات .

والأمة الجزائرية من أوفى الفروع العربية لهذه اللغة ، وأكثرهم برآ بها ، وتمجيداً واعتزازاً .

فالعربية غالبت فى هذا الوطن عدة لغات فلم تهن ولم تغلب ، والأمة الجزائرية ناهضت عدة استعمارات روحية ومادية فلم تقهر ولم تخذل .

جاهدت هذه الأمة فى سبيل لغتها جهاداً متواصلا . كان من ثمرات النصر فيه هـذه النهضة التعليمية التى ولدت الكتاب والشعراء والخطباء والوعاظ . وهى نهضة لم تعتمد الأمة فيها إلا على ما فى نفسها من حيوية موروثة ، ولم تلتمس فيها عونا من اجنبى ، بل لم تلق من الأجنبى إلا المعارضة الحادة والتثبيط القاتل . وكان من نتائج هذه النهضة إلحاح الأمة فى المطالبة بمظهر سياسى وطنى للغتها ، وهى : أن تكون رسمية فى المدارس والدواوين والأقلام والأحكام ، وأن يعترف لها بمكانتها فى وطنها ، وأن تمحى عنها تلك الوصمة التى لم تسب بأشنع منها ، وهى « أنها أجنبية فى دارها » .

. . . إن هذه الأمة المؤلفة من عشرة ملايين ، هى صاحبة الحق فى هذا التعليم ، لها غنمه وعليها غرمه ، فيجب أن تكون هى صاحبة الرأى الأول فى بداياته وصاحبة الفصل الأخير فى نهاياته ، وبأن تكون هى القائمة به والقيمة عليه ، بمعنى أن يكون المعلم له من أبنائهـا المتضلعين فى لغتهم ، والحارس الرقيب عليـه من رجالها المؤتمنين عليها ، وان لا يكون حظها فى التعليم الثانوى أوكس من حظ الانكليزية والأسبانية .

والأمة تريد من التعليم العربى الحكومى الذى يحقق للعربية صفة « الرسمية » أن يكون تعليما كاملا فى جميع مراحله . يبنى على أساس صحيح فى المرحلة الابتدائية ، وصحة الأساس بالمعلم الكفء ، والكتاب الوافى والبرنامج الكافى . ثم ينتقل — صحيحاً — إلى الدرجتين الثانوية والعليا .

والأمة تريد تعليما عربياً يساير العصر وقوته ونظامه ، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء ، ويحمله نذر الموت .

والأمة تريد تعليما عربياً عليه طابعها ، وفيـه أثر يديها ، وله ما لها من روح ، وعليه ما غليها من سمات .

إن هذه الأمة تعتقد — وتموت على اعتقادها — أن لغتها جزء من كيانها السياسى والدينى ، وشرط فى بقائهما . وقد التقى على الكفاح فى سبيلها الدين والسياسة ، فلم يختلف لها فيها رأى ، ولم يفترق لها قصد . . . »

(ج) ــ وقد جاء فى القرار الذى اتخذه المسلمون الجزائريون أثناء الاجتماع الذى عقدته جمعية العلماء بباريس . ما يلى :

«إن المسلمين الجزائريين المجتمعين بقاعة شارع ماتوران مورو وبدعوة من جمعية العلماء :

يؤكدون بدون مراعاة لآرائهم السياسية ، تضامنهم الإيجابى مع المثل الأعلى للجمعية التى يسهر عليها بجدارة واستحقاق كل من فضيلة الشيخ بشير الابراهيمى والشيخ العربى التبسى

ــ يقدمون لها تهانيهم على الكفاح الذى يقومان به منذ سنين عدة قصد تمكين المسلمين الجزائريين من حرية إدارة شؤون دينهم وحرية تعليم لغتهم .

ــ يؤكدون بأنه يتعذر التفكير فى هاتين الحريتين وبلوغ تحقيقهما ، إذا لم يفصل الدين عن الحكومة فصلا عملياً ، يخول للمسلمين الجزائريين حرية التصرف فى مساجدهم ومؤسساتهم الدينية ، وحرية تنظيم تعليمهم حسب التقاليد والقواعد التى ظهرت صلاحيتها خارج نطاق الأنظمة الاستعمارية .

ــ يؤكدون أن تطبيق مثل هذه المبادىء لا يعدو كونه انجازاً للوعد الذى أعطاه الماريشال بورمون سنة ١٨٣٠ .

ــ يفضحون نفاق النظام الحالى الذى يطبق على الديانتين المسيحية والاسرائيلية قانون الفصل المؤرخ بـ ١٩٠٥ وقرار ١٩٠٧ ، فى نفس الوقت الذى يخضع فيه الديانة الاسلامية واللغة العربية لمراقبة وتدخل إدارة استعمارية ذات صبغة بوليسية لا غبار عليها .

ــ يفضحون ، علاوة على ذلك ، مكايد الإدارة الجزائرية ، تلك المكايد الرامية إلى معارضة أوامر النظام الجزائرى الذى يعلن بكل صراحة فصل الدين عن الحكومة ، وضرورة تعليم اللغة العربية .

ــ يفضحون رفض الادارة الجزائرية وعدم كفاءتها لمقاومة أمية المسلمين الجزائريين الذين لم يقبلوا فى المدارس إلا على نسبة سخيفة تقدر بواحد فى الثمانية .

ــ يحتجون على عدوان هذه الادارة التى رغماً عن قصورها الفادح هذا ، ترفض فتح المساجد ــ وهى المدارس التقليدية ــ فى وجه التعليم .

مطاليب مؤتمر طلبة المغرب العربى

من جملة المقررات التى اتخذ المؤتمر الحادى عشر لطلبة المغرب العربى ... الخاصة بأمور التعليم فى الجزائر ــ ، ما يلى : .

١ — الغاء تعميم ميشال الصادر سنة ١٩٣٨ والغاء القانون الذى أصدره شوتان نفس السنة ، الذين يعتبران اللغة العربية لغة أجنبية .

٢ — الغاء الأمر الذى أصدره الوالى العام فى ١٢ جويلية سنة ١٩٤٥ الذى يفرض على معلمى المدارس العربية الحرة معرفة اللغة الفرنسية .